تخاميس
القصيدة المنفرجة

(١)

للشيخ عبد الله بن نعيم الحضرمي[١]

لا بـــدّ لـــضـــيق من فـــرج والـصـبّـر مـطـيّـة كلّ شـجى
ويـدعـوة أحـمـد فـابـتـهج "إشـتـدّى أزمـة تـنـفـرجى"
"قـد آذن لـيـلك بـالـبـلج"
يـا نـفسُ رويـدَكِ لا حَـرَجٌ وثِـقِى بـالـله عـسى فـرجٌ
وكـذا مـا ضـاق له فُـرجٌ "وظلام الـلّـيل له سـرجٌ"
"حـتّى يـغـشـاه أبـو الـسّـرج"
فـلـكُلِ مـحـاولـة قـدَرٌ وقـضَى لا يـدفـعه حـذرُ
ورجـوعك عن هـذا غَـرَرٌ "وسحاب الخير لها مطرُ"
"فـإذا جـاء الإبّـان تجى"
فى لـطف الـله لـنـا أملٌ لا يَـدَّنى مـطـلـبه عـجلٌ

(١) هو الفقيه الأديب الشيخ أبو محمد عبد الله بن نعيم الحضرمى القرطبى. نشأ بتونس وتوفى بقسنطينة سنة ٦٣٦هـ/ ١٢٣٩م.
ذكر الغبرينى فى كتابه "عنوان الدراية" ص ٢٢٦ قال: "... أنه شرع فى شرح مقامات الحريرى وأنه كتب على خطبتها نحوًا من خمسة عشر كراسًا بالقالب الكبير، وكان فى عالم الأدب مستبحرًا، وكان مشرفًا ببجاية فى مدة ابن عمران من بنى عبد المؤمن، وكان المشارف فى ذلك الزمان على سنن العدل. والتزام طرق الفضل. ولما أخذت البلاد من يد ابن عمران وأخذت حاشيته معه. فكان الفقيه ابن نعيم أحد المأخوذين، ومن جملة المعتقلين، ولما كان بعد ليلة أو ليلتين من اعتقاله رأى محل الإمارة العلية - بَرَد الله ضريحه - النبى (ﷺ) فى المنام، وأمره أن يسرح ابن نعيم من اعتقاله فاستيقظ وبعث إليه الفتيان فى بقية ليله فارتاع كل من كان فى ذلك الموضع، واستشعروا شرًا فاستدعى ابن نعيم من بينهم، وسيقت له بغلة وكسوة وسرج، وأحسن إليه. فسئل عن السبب فى ذلك، فقال: إنه لم يكن له سبب سوى أنه خمّس القصيدة الجيمية عند دخوله السّجن. وهو تخميس لا بأس به".

ولـــكلّ مـــحـــاولـــة أجلّ "وفـــوائـــد مـــولانـــا جـــملّ"

"لـــــــروح الأنـــفس والمُـــهج"

مـــا إنْ خُـــلق الإنـــســـان سُـــدَى والـعـقلُ بـذاك لـنـا شَـهِـدَا

وإذا هـــــبّت أرواح هُـــــدَى "ولـهـا أرج مُـحْـيـى أبـدَا"

"فـــاقْـــصِـــد مَـحْـيَـا ذاك الأرج"

وتلافَ هُـديت حَـيًّـا حَـيّـا إنْ أنتَ ظـفِـرْتَ به تَـحْـيَـا

واقـصـدْ بـالجـدّ لِـمَـا أحْـيَـا "فـلـربّـتـمـا فـاض المَـحْـيَـا"

"بـبـحـور المـوج من الـلّـجج"

فـعـلـيك بـصـافى مَـوْرِدِهِ لـتـكـون الـفـائـز فى غَـدِهِ

والـلـه مُـصَـرِّف مـقـصـده "والخـلق جـمـيـعًـا فى يَـدِهِ"

"فَـــذَوُو سَـــعَـــةٍ وذَوُو حَـــرَجِ"

خُـطّتْ فى الـلّـوح جـمـوعُـهُمْ وأصـــولُـــهُمْ وفـــروعُـــهُمْ"

ونـــزيـــلـــهُمْ ورفـــيـــعُـــهُمْ ونـــزولُـــهُمْ وطـــلـــوعُـــهُمْ"

"فـــــإلـى درك وعـــــلـى دَرَجِ"

قـد حـاز الخـيـرَ مُـرَاقـبـهُمْ ونجـا فى الحَـشْـر مُـصَـادقُـهُمْ

واسـتـقـلّتْ فـيه مـنـاقـبـهُمْ "ومـعـايـشُـهُمْ وعـواقـبُـهُمْ"

"لـيـست فى المَـشْى عـلـى عِـوَجِ"

فـهـنـاك مـعـانٍ قـد كُـتِـمَتْ ولـقـد كُـشِـفَتْ حـتـى فُـهِـمَتْ

لـعـقـولٍ صـافـيـة سـلـمت "حِـكَـمٌ نُـسِـجَتْ بـيـدٍ حَـكَـمَتْ"

"ثم انْـتُـسِـجَتْ بـالمُـنْـتَـسِجِ"

فانظر لأمور قد وَشَجَتْ لَمَا مُزِجَتْ ثم امْتَزَجَتْ
وبأوّل عُنصرها لهِجَتْ «فإذا اقْتصدتْ ثم انْعرجَتْ»
"فبِمُقْتصد وبمُنْعَرِجِ"

لا يصحب ذا عِلْمٍ لجَجٌ والعلم تفيض له لُجَجٌ
فلكم مرّت لهم حُجَجٌ "شهدت لعجائبها حِجَجٌ"
"قامت بالأمر على الحِجَجِ"

تفويضُكَ للرحمن رَجَا كم جاء صباحٌ بعد دُجَا
ويكون الصّبر له فرجا "ورضَى بقضاء الله حجَى"
"فعلى مركُوزَتِه فَعُجِ"

فتَحَرَّ بما تلقى رَشَدَا لا يمضى عمرك عنك سُدَى
واقْطع أيّامك مُجْتهدا "وإذا انْفَتَحَتْ أبواب هُدَى"
"فاعْجل لخزائنها ولِجْ"

وتلقَّ بعزمٍ رايتها واقْرأ وتدبّر آيتها
فلعلَّكَ تبلغ غايتها "وإذا حاولْتَ نهايتها"
"فاحْذَرْ إذ ذاك من العَرَجِ"

لا تُلْفِ لعنين الدّين قَذَى فتكون بظَهْرٍ مُنْتَبِذَا
واصدع بالحقِّ إذا نَفَذَا "لتكون من السّبّاق إذا"
"ما جئْتَ إلى تلك الفُرَجِ"

قامت فى العالم حُجَّتُهُ وبَدَتْ للخلق محَجَّتُهُ
فإذا أنْفتحت لكَ فُرْجَتُهُ "فهناك العيشُ وبَهْجَتُهُ"
"فلِمُبْتَهِجٍ ولِمُنْتَهِجِ"

طوبَى لنفوسٍ قد سَعِدَتْ فعلتْ وزكت لمّا زهدت
فأقمْ آمالك إنْ فُسقِدَتْ "وَهِجِ الأعمال إذا ركدت"
"فإذا ما هِجْتَ إذًا تَهِجِ"

ظُلُمات النّفس محاجَّتُهَا فاحْذر تغشاك لجاجَتُها
فَتَغشَّ النّور زُجَاجَتُها "ومعاصى الله سماجَتُها"
"تَزْدَانُ لذى الخُلُقِ السَّمِحِ"

فحذارِ تَهُم بساحَتِهَا فتكون رهينَةَ راحتها
والله يَمُنُّ براحتها "ولطاعَتِهِ وصباحَتِها"
"أنوارُ صباح مُنْبلِجِ"

لا تَقْرَبْ أمرًا مُشْتبهًا ودَعِ الدُّنيا لمتقلِّبِهَا
واضْرب عن لذّة مَشْربها "مَن يخطبْ حور العين بها"
"يظفرْ بالحُورِ وبالغنجِ"

فاجْعَلْ مَهْرَ الحورآ أرَقَا بقيام اللّيل وزدْ فَرَقَا
واسْلُكْ بالجدّ لها طُرقا "وكُن المرضىّ لها بتُقَى"
"تَرْضَاهُ غَدًا وتكون نجى"

بَلَجُ الأنوار على نَفَذِ فلها عُوَذٌ أسنى العُوَذِ
وتحرَّ مقالة كلّ بذى "واتْلُ القرآن بقلب ذى"
"حَزَنٍ وبصوت فيه شجى"

تأخير التّوبة آفتُها وتُميتُ القلب سُلاَفَتُهَا
وحياة النّفس مَخَافَتُهَا "وصلاة اللّيل مسافتُها"
"فاذْهَبْ فيها بالفَهْمِ وجِى"

فإذا أبْصَرْتَ مبانِيَهَا فانْظر إذ ذاك معانِيَهَا
واذْكر بالفكر غوانِيَهَا "وتأملها ومعانِيَهَا"
"تأتِ الفردَوْسَ وتَنْفَرِجْ"
ومتى ما فُزْتَ بِمَنظرها فاستنشِقْ رِح معطّرِها
واعْجبْ لجمال مُعَصْفَرِهَا "واشْرب تسنيم مفجّرِها"
"لا مُمْتَزِجًا وبمُمْتَزِجْ"
أنفاسك قد ذهبت صُعَدَا وذنوبك لا تُحْصَى عَدَدَا
بجيوش العقل اجْعل مَدَدَا "مدحَ العقل الآتيه هُدَىَ"
"وهَوَى متولٍّ عنه هُجِيَ"
اللّهو سَبَتْكِ غَضَاضَتُهُ وظننتَ تقيكَ مُفَاضَتُهُ
حتّى عضّتكَ مَضَاضَتُهُ "وكتاب الله رياضته"
"لعقول الخلق بمُنْدرجْ"
والخلقُ جَرَتْ عاداتُهُمُ يدعُونَ بهم ساداتُهُمُ
وهُمُ فى الحَشْر لذاتُهُمُ "وخيار الخلق هداتُهُمُ"
"وسِوَاهُمْ من هَمَجِ الْهَمَجْ"
خُذْها من قول مَن احتفلاَ ودَعَا لنصيحته الْجَبَلاَ
واحْذَرْ مِن نجمك إنْ أفَلاَ "وإذا كنت المقدام فلاَ"
"تجزع فى الحرب من الرَّهَجْ"
دَعْ عنك أخًا يُبْدى لَدَدَا أجْرى فى الغىّ لغير مَدَى
واصْحَبْ مَن فاز وَمن رَشَدَا "فإذا أبصرتَ مَنَارَ هُدَىَ"
"فاظهر فردًا فوق الثَّبَجْ"

تـأبى نـفس لمـا انْـفَـرَدَتْ فعلى الرّحمن قَدِ اعْتَمَدَتْ
وحَدَاها الشّوق لما قَصَدَت "وإذا اشتاقت نفسٌ وجَدَتْ"
"ألمَا بالشّوق المُعْتلِجِ"

أيام العُمْر مُمَاحِكَةٌ ولياليالى الغفلةِ حالكةٌ
وثغور الحقّ ضاحكةٌ "وثنايَا الحَسْنا ضاحكةٌ"
"وتمامُ الضّحك على الفَلَجِ"

أعلام الدّين قد ارْتَفَعَتْ ونجوم العلم به طَلَعَتْ
وحمامُ المَوْتِ لنا سَجَعَتْ "وعيابُ الأسرار اجْتَمَعَتْ"
"بأمانتها تحت الشَّرَجِ"

العُجْبُ يطيشُ براكبهِ فتجَنَّبْ ذِرْوة غاربه
والصبرُ عليك بلاحِبِهِ "والرّفْق يدوم لصاحبه"
«والخرقُ يصير إلى الهَرَجِ»

فاصْدَعْ لإلهكَ بالحَمْدِ فيما تُخفيه وما تُبْدى
فلقد أذكى سُرُج السّعْدِ "صلوات الله على المَهْدِى"
"الهادى النّاسَ إلى المَنْهجِ"

وعلى السادات وعِتْرَتِهِ وعلى الأنصار وَعَشْرتِهِ
وعلى من فَازَ بعبرته "وأبى بكر فى سيرته"
"ولسان مقالته اللّهجِ"

وَمنِ اسْتَهْدَى بإمَامَتِهِ وَغَدَا فى ظلّ غَمَامته
وجَنَى من زهر كمامته "وأبى حفص وكرامته"
"فى قصّة ساريةَ الخُلُجِ"

وعلى مَن جاء على بَيْنِ يبغى الإسلام بلا مَيْنِ
خوفًا من غاشية الحَيْنِ "وأبى عمرو ذى النّورينِ"
"المُستحيى المُستحْيَا البَهِجِ"

وعلى مَن بمَقَالَتِهِمْ أخذَا وتحامَى الهُدَى حين حذَا
ومعالى نَشْرَته نبذَا "وأبى حسن فى العلم إذا"
"وافَى بسحائبه الخُلُجِ"

صلواتُ اللهِ لجمعهما وسلام الله يؤمّهما
وقرابتهم وجَميعهما "وعلى السبطين وأمّهما"
"وجميع الآلِ بمُندَرِجِ"

وعلى الأزواجَ ونبتتهم وكذا الأتباع وعشرتهم
فهمُ الأحياءُ بتربتهم "وصحابتهم وقرابتهم"
"وقُفَاة الإثر بلا عوجِ"

وعلى الحسنين وأمّهما وعلى العمّين هُمُ الكُرَمَا
وعلى الباقى الصحب الحكما "وعلى تبّاعهم العُلَمَا"
"بعوارف دينهم البهجِ"

مَن يرجو حسن نوالهمُ من دنيا فهم ومآلهمُ
يدعو الرحمَن بجاههمُ "يا ربّ بهم وبآلهم"
"عجّلْ بالنصرِ وبالفرجِ"

....
..... "وارحَمْ يا أكرم من رَحِمَا"
"عبدًا عن بابكَ لم يَعُجِ"

....

..... "واختمْ عملى بخواتمها"

"لأكونَ غدًا فى الحَشْرِ نجى"

....

..... "لكنّى بجودك معترفٌ"

"فاقبلْ بمعاذى والحجج"

....

..... "وإذا بك ضاق الأمر فَقُلْ"

"إشتّدى أزمةُ تنفرجى"(١)

(١) وردت بعض الأبيات فى القصيدة بيضاء، علَّها سقطت من أيدى النسَّاخ، ولا يخفى على القارئ الخلل العروضى ببعض أبياتها.

(٢)

للشيخ ابن الشباط التوزرى[١]

"عجالة الرويّة فى تسميط القصيدة النحويّة"

يـا مَن يـشـكـو ألم الحـرج ... ويـرى عـسـرًا قـرب الـفـرج

ابـشـرْ بـشَـذَا فـرج أرج ... "إشـتـدّى أزمـة تـنـفـرجى"

"قـد آذن لـيـلك بـالـبـلج"

وارْتح لـلـرُّوح فـلا حـرجٌ ... فـمـراقى الـلـطف لـهـا درجٌ

ومـعـانى الـضـيّق لـهـا فـرجٌ ... «وظـلامُ الـلـيـلِ له سُـرُجٌ»

"حـتّى يـغـشـاه أبـو الـسّـرج"

الـيـأس لـدى الـبـلـوى خـطـرٌ ... والـبـأس مع الـنـعـمى بـطـرٌ

والـقـلـب له أبـدًا وطـرٌ ... "وسـحـاب الخـيـر لـهـا مـطـرٌ"

"فـإذا جـاء الإبّـان تجى"

---

(١) هو الأديب العالم محمد بن على بن محمد بن على المعروف بابن الشباط التوزرى. ولد بتوزر سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢١م، وبها نشأ وأخذ عن علمائها فبرع فى العلوم وأصبح إمامًا فيها وولّى القضاء بها، ثم انتقل إلى تونس وتصدى للتدريس بجامع الزيتونة ثم رجع إلى مسقط رأسه وانتفع به الناس واقتبسوا من معارفه، وكان شاعرًا من شعراء السليقة والإلهام، وشعره يضرب به المثل. وتوفى ببلده سنة ٦٨٤هـ/ ١٢٨٢م.

من كتبه: "صلة السمط وسمة المرط" فى أربعة أجزاء. وهو فى الأدب والتاريخ جعله شرحًا لتخميس القصيدة الشقراطيسية فى السيرة، و"الغرة اللائحة والمسكة الفائحة"، و"الشعب الشهية والتحف النقهية"، و"أنيس الفريد فى حلية أهل الجرد"، و"العقد الفريد فى تاريخ علماء الجريد"، و"تحف المسائل بمنتخب الرسائل". وله كتاب فى الهندسة. والشيخ ابن الشباط هو مهندس بارع قسم مياه توزر على الأسلوب الذى شاهده التجانى وذكره فى رحلته.

والـغـافل عن هـذا هـمـلُ والـنـفس تـمـلـكـهـا الأمل
وملاك الخـيـر هـو الـعـمل "وفـوائـد مـولانـا جـمل"

"لـلـروح الأنـفس والمُـهج"

عم الأكـوان نـدى وجـدَى فـعـلى الآفـاق شـمـوس هـدى
ورياض الجـود تـمـدّ يَـدَا "ولـهـا أرج مـحـيى أبـدًا"

"فـاقـصِـد مَـحْـيَـا ذاك الأرج"

لـله نـسـيم حـيـا أحْـيَـا ومـسـيـر طـريق مـا أعْـيَـا
فـالـزمْهُ فـربّـمـا أعْـيَـا "ولـربّـمـا فـاض المحـيـا"

"بـبـحـور المـوج من الـلّـجج"

ذو الـعـقل يـقـوم بـسّـيـده ومـسـدّده ومـؤيـده
ومـصـرفه ومـردّده "الخـلق جـمـيـعًـا فى يـده"

"فَـذَوُو سَـعَـةٍ وذَوُو حَـرَجِ"

ونـزاعـهُمُ ونـزوعـهُمُ وقـنـاعـتـهم وقـنـوعـهُمُ
وسـلـوُّهُمُ وولـوعـهُمُ "ونـزولـهُمُ وطـلـوعُـهُمُ"

"فـسـبالى درك وعـلـى دَرَجِ"

ومـطـالـعـهُمُ ومـراقـبـهم وطـوالـعـهم وثـواقـبـهم"
ومـثـالـبـهم ومـنـاقـبـهم «مـعـايـشـهم وعـواقـبـهم»

"لـيـست فى المَـشْى عـلـى عِـوَجِ"

نـفس عـدلت نـفس ظـلـمتْ نـفسٌ سـلـمت نـفسٌ ألمتْ
نـفس جـهـلت نـفس عـلـمتْ "حِـكَمٌ نُـسِـجَت بـيـدٍ حَـكَـمَتْ"

"ثم انْـتُـسِـجَتْ بـالمُـنْـتَـسِجِ"

هـذى دخـلت هـذى خـرجت هـذى بـقـيت هـذى درجت
هـذى سـلـفت هـذى عـرجت "فـإذا اقـتـصـدت ثم انْـعَـرجت"
"فـبِـمُـقْـتـصـد ويمُـنْـعَـرِجِ"
فـاضت بـحـرًا فـيه لججُ صـدت قـومًـا لمـا انـتـهـجوا
وهـدت قـومًـا فـيـهـا ابـتـهـجوا "شـهـدت لـعـجـائبـهـا حـججُ"
"قـامت بـالأمـر عـلـى الحِـجَجِ"
اقْـرع بـابىَ أمل ورجـا واسْـلك هـولاً وارْكب لُـجـجـا
فـرجـاء الـلـه هـدًى ونجـا "ورضَـى بـقـضـاء الـلـه حـجَى"
"فـعـلـى مـركُـوزَتِه فَـعُجِ"
احـفظ أنـفـاسك كـالـسُّـعـدَا واحْـذر أن تـذهب عـنك سُـدى
وانـعم بـاللائح حـين بَـدَا "وإذا انـفـتـحت أبـواب هُـدَى"
"فـاعْـجل لخـزائـنـهـا ولج"
وتـوّخ بـقـصـدك آيـتـهـا وارْفع بـالـهـمّـة رايـتـهـا
وانْـهض كى تـدرك غـايـتـهـا "وإذا حـاولت نـهـايـتـهـا"
"فـاحْـذَرْ إذ ذاك من الـعَـرَجِ"
اتـرك أمـرًا يـجـنـيك أذى والْـزم ذكـرًا يـجـزيك غـدًا
واهْـجـر هـجـرًا وهـوًى وقـذًا "لـتـكـون من الـسُّـبـاق إذا"
"مـا جـئْتَ إلى تـلـك الـفُـرَجِ"
بـرهـان الحقّ وحـجّـته ولـسـان الـصّـدق ولـهـجـته
وطـريق الـرشـد ونـهـجـته "فـهـنـاك الـعـيش وبـهـجـته"
"فـلِـمُـبْـتَـهِج ولِـمُـنْـتَـهِجِ"

نفس رضيت بالله جدَّتْ شكرتْ نِعَمًا مهما وجدَتْ
وكذلك إنْ بخلت جحدَتْ "فهج الأعمال إذا ركدَتْ"
"فإذا ما هِجْتَ إذًا تَهِجِ"

نفس كشفت فزجاجتها فبنت بالهجر بحاجتها
وبدت فى الذّنب لجاجتها "ومعاصى الله سماجتها"
"تَزْدَانُ لذى الخُلُقِ السَّمِحِ"

عرج عن ساج مساحتها واقْصد راحًا عن راحتها
فلتقوى الله وراحتها "ولطاعته وصباحتها"
"أنوارُ صباح مُنْبلِجِ"

فادْخل فى منصب منصبها واسْلك فى مسلك مكسبها
وامْسك فى مطلع مطلبها "مَنْ يخطبْ حور الخُلد بها"
"يظفرْ بالحُورِ وبالغنجِ"

يا مَن بالحسنى قد عَلقا جرّد عزمًا وانفى العُلقا
حورًا عينًا تهوى عُلَقَا "فكن المرضىّ لها بتُقَى"
"تَرْضَاهُ غَدًا وتكون نجى"

بمعاصى الله القلب أُذِى وبطاعته عوفى وغُذى
فيها من كلّ حلاك خذى "واتْل القرآن بقلب ذى"
"حَزَنٍ وبصوت فيه شجى"

فحجاب النّفس وآفتها عجبٌ توليه سلافتها
وهوان الطرق مخافتها "وصلاة اللّيل مسافتها"
"فاذْهَبْ فيها بالفَهْمِ وجى"

واعْمر بالذكر معانيَهَا واطف بالفكر مجانيَهَا
والْزم ما عشت مغانيَهَا "وتأملها ومعانيَهَا"
"تأتِ الفردَوْسَ وتَنْفَرِجِ"
والْهج بلطائف مُحْجرها وابْهج بطرائف متجرها
بمبردها ومهجرها "واشْرب تسنيم مفجّرها"
"لا مُمْتَزِجًا وبمُمْتَزِجِ"
ما من خلق أنشاه سُدَى كلّ بالأمر بَدَا وغَدَا
أعمى من شاء أزلاً وهدَى "مُدِحَ العقل الآتيه هُدَى"
"وهَوَى مقولٌ عنه هُجِىَ"
هذا بحر وإفاضته ما غضت منه إغاضته
والصعب تقدم راضته "وكتاب الله رياضته"
"لعقول الخلق بمُنْدرج"
أسباب الخوف حداتهُمُ وأولوا التثبط عداتهمُ
وله لا تكملُ ذاتهم "وخيار الخلق هداتهمُ"
"وسِوَاهُمْ من هَمَجِ الهَمَجِ"
جنب عبدًا جهلا غفلاَ واتْرك بدرًا لمّا أفلاَ
وجز الأقذاء، تجز نفلاَ "فإذا كنت المقدام فلاَ"
"تجزع فى الحرب من الرَّهَجِ"
وارقب برقًا للسرّ بدَا وامْدد بكريم الوعد يَدَا
واعْمم أوقاتك مجتهدًا "وإذا أبصرت منار هُدَى"
"فاظهر فردًا فوق الثَّبجِ"

لـــله جـــبـــاه قـــد ســـجـــدَتْ فى جـنح الـلّـيل ومـا هـجـدَتْ
أضـنـاهـا الـشّـوق ومـا وجـدَتْ وإذا اشـتـاقتْ نـفس وجـدَتْ
"ألمُـا بـالـشّـوق المُـعْـتـلِجِ"

أهـواء الـنّـفس ممـاحـكـة ورِيـاض الأنس ملاحـكـةٌ
وشـمـوس الـفـضل مـضاحـكةٌ "وثـنـايـا الحَسْـنـا ضـاحـكةٌ"
"وتـمـامُ الـضّـحك عـلى الـفَـلَجِ"

وبـروق الـرحـمـة قـد لـمـعتْ وغـيـوث الـنـعـمـة قـد هـمـعتْ
ومـعـانى الحـكـمـة قـد جـمـعتْ "وعـيـاب الأسـرار اجـتـمـعتْ"
"بـأمـانـتـهـا تحت الـشّـرَجِ"

شـمـر بـطـريـقك لا حـبِهِ واسْـلك قـصـدًا بمـصـاعـبه
فـالـقـصـد هـدى لـمـصـاحـبه "والـرِّفْق يـدوم لـصـاحـبه"
«والخـرقُ يـصـيـر إلى الـهَـرَجِ»

واقْـمع شـهـواتك بـالـزّهـد واكْـحل أجـفـانك بـالـسّـهـد
وصلّ الـصـلـوات لمن يـهـدى "صـلـوات الـله عـلى المـهـدى"
"الـهـادى الـنّـاسَ إلى الـنّـهـجِ"

وإمـام الخـلق وخـيـرتـه ووسـيـلـتـه وذخـيـرتـه
وعـلى خـلـصـان عـشـيـرتـه "وأبى بـكـر فى سـيـرتـه"
"ولـسـان مـقـالـتـه الـلّـهـجِ"

الـشـاهـر سـيف صـرامـتـه ومـجـهّـز جـيش عـرامـتـه
مـسـيـلـمـة ويمـامـتـه "وأبى حـفـص وكـرامـتـه"
"فى قـصّـة سـارِيـة الخُـلُجِ"

فـإلى الـدّنـيـا ذى الـطـمـرين ومُـــزل الـــرَّبِ مع الـــرَّيْنِ
ومـــذيق الـــكـــفـــر المُـــرّينِ "وأبى عـــمـــرو ذى الـــنـــورينِ"
"المُـسْـتـحِى المُـسْـتـحْـيَـا الـبَـهِجِ"

جَلاَ عن جـيـشِ الـعـسـر أذَى وحـــمـى عن عـــين الحق قـــذى
ولـــهـــا عـــين رقـــمـت وقـــذا "وأبى حـــسن فى الـــعـــلم إذا"
"وافَى بـــســـحـــائـــبه الخُـــلُجِ"

بـــدر يـــلـــتـــاح بـــهـــالـــته وِ ـــــدلّ بـــنـــور دلالـــــته
وغـيـوم عـــلـــوم مـــقـــالـــته "تـــزهـــو الـدّنـيـا بـجلالـته"
"ومُـــحـــبٌّ فـــيـــه بـــذاك حَجِ"

وعـلى بـاقى تـلك الـعـشـره وذوى الـرضـوان لـذى الـشـجـره
ولـيـوث صـحـابـته الخـيـره "ونجـوم هـدايـته الـبـرره"
"أهل الإخـلاص مع الـــثـــلـــج"

ربّ هب لى عـــمـلاً بـــعـــلي يـشـفى ظـمـئى وِـقى عـمـلى
ويـحـقّق فى الـزلـفى أمـلى "وارْحَم الـنـحـويّ مع ابن عـليّ"
"بـــجـلال عـلاك من الـــوهـج"

(٣)

للشيخ عمر القوصى القرشى[١]

صبرًا يا نفس على الحرج فَلَكُمْ لإلهك من فرج

قولى برضًا كالمبتهج "إشتدّى أزمة تنفرجى"

"قد آذن ليلك بالبلج"

صدرى بزوالك مختلجٌ يا أزم وإنْ زادَهُ حرجٌ

والصبر فعقباه فرجٌ "وظلام اللّيل له سُرُجٌ"

"حتّى يغشاه أبو السّرج"

كم قد سلمت فيه فِطرٌ وقضى للقلب به وطرٌ

إذ لاح له يسر عطرٌ "وسحاب الخير لها مطر"

"فإذا جاء الإبّان تجى"

مالى فيما ألقاه عملٌ يجرى أرجوه ولا حيلٌ

إلاّ المولى فهو أملٌ "وفوائد مولانا جملٌ"

"لسروح الأنفس والمُهج"

بادر يا صاح ومدَّ يَدَا سَلْها متى تبدى لبَدَا

جلت أن تحصى بها عددَا "ولها أرج محيى أبَدَا"

"فاقْصِد مَحْيَا ذاك الأرج"

---

(١) هو الأديب الشاعر عمر بن عيسى بن نصر بن محمد القوصى القرشى (مجد الدين) ولد سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م. سكن القاهرة، وتوفى بقوص سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م. من آثاره: "قصيدة تذكرة الأديب".

مـحـيـًا إنْ لُـذْتَ به تحـيـا لمـوات الـقـلـب به أحـيـا
فـأتِهْ وانْـزِلْهُ عـلى اسـتـحـيـا "فـلـربّـمـا فـاض المحـيـا"
"بـبـحـور المـوج من الـلّـجـج"

....
..... "والخـلق جـمـيـعًـا فى يَـدِهْ"
"فَـذَوُو سَـعَـةٍ وذَوُو حَـرَجِ"

....
..... "ونـزولُـهُمُ وطـلـوعُـهُمُ"
"فـإلى درك وعـلـى دَرَجِ"

ظـهـرت بـالـبِـرِّ مـنـاقـبـهُمْ وزكَى بـالخـيـر تـعـاقـبـهم
فـرضى إذ ذاك مـراقـبـهم "ومـعـايـشـهُمْ وعـواقـبُـهُمْ"
"لـيـست فى المَـشْى عـلـى عِـوَجِ"

انـظـر بـبـصـائـر من عـلـمتْ بـوجـود الـصـانع إذ فـهـمتْ
عن حـكـمـته مـا قـد حـكـمتْ "حـكَمٌ نسـجت بـيـدٍ حَـكَـمَتْ"
"ثم انْـتُـسِـجَتْ بـالمُـنْـتَـسِجِ"

بـدرت فـكـرًا حـتّى نـتـجَتْ نـظـرت عِـبَـرًا لمّـا انـتـهـجَتْ
ببـصـيـرتـهـا عـين انـتـهـجَتْ "فـإذا اقـتـصَـدَتْ ثم انْـعـرجَتْ"
"فـبِـمُـقْـتـصـد وبمُـنْـعَـرجِ"

كم ذا تـلـقـت فـيـهـا مـهجٌ ولـكم تـودّت مـنـهـا لجج
ومـضت بـحـوادثـهـا حـججٌ "شـهـدت بـعـجـائـبـهـا حُـجَجٌ"
"قـامت بـالأمـر عـلـى الحِـجَجِ"

قُمْ صلِّ إذا ما اللّيل سَجَى وابْسط كفّيك وسلْ فَرَجَا
واعْبده على خوف ورَجَا "ورضَا بقضاء الله حجى"
"فعلى مركُوزَته فَعُجِ"

وانهض لإلهك مجتهدًا واقصدْهُ إذا ما اللّيل هَدَا
واضرع واسْأل بعين السُّعَدَا "وإذا انْفتحَتْ أبواب هُدَى"
"فاعْجل لخزائنها ولِج"

وإذا عاينت بدايتها وأردت هناك عنايتها
قف عن إدراك غايتها "وإذا حاولتَ نهايتها"
"فاحْذَرْ إذ ذاك من العَرَجِ"

إنْ فاح لوصلك عرف شذَا لم يبق لداء الهجر أذَى
سارع فإذا ما اللبث كذَا "لتكون من السّباق إذا"
"ما جئْتَ إلى تلك الفُرَجِ"

عاشَتْ للواصلِ صُهْجَتُهُ لما صدقته لهجَتُهُ
روض يبدو لك بهجته "فهناك العيش وبهجَتُهُ"
"فلِمُبْتَهِج ولِمُنْتَهِجِ"

نبّهْ عينيك إذا رقدَتْ لترى الحَسْنَاء إذا وَرَدَتْ
وإذا اشتاقَتْ لما وعدَتْ «فهج الأعمالَ إذا ركدَتْ»
"فإذا ما هِجْتَ إذًا تَهِجِ"

وإذا انْحازَتْ بك حاجتها سكتَتْ إذ ذاك عجاجتها
وعدوّ النفس لجاجتها "ومعاصى الله سماجتها"
"تَزْدَانُ لذى الخُلُقِ السَّمِجِ"

إياك وكان إباحتها فترى تحسين قباحتها
والله ينهى عن ساحتها "ولطاعته وصباحتها"
"أنوارُ صباح مُنْبلِجِ"
فمحلّ العزّ لصاحبها وكنوز الخير لطالبها
ورياض الأنس لخاطبها "من يخطبْ حور الخُلْد بها"
"يظفرْ بالحُورِ وبالغنج"
لأولى الطاعات ألذّ لِقَا يحيا فى العزّ من غير شقا
إنْ رُمْتَ لعلياها طرقَا "فكن المرضىَّ لها بتُقَى"
"تَرْضَاهُ غَدًا وتكون نجى"
لا تصْغ أخى لمَنْ يهذى واطلب لقوامك ما يقذى
واسأل مولاك كمستحذى "واتْلُ القرآن بقلب وذى"
"حَزَنٍ وبصوت فيه شجى"
إياك النفس وفاقتَهَا تردى أبدًا وتهافتَهَا
ووعيد النار مخافتها "وصلاة اللّيل مسافتها"
"فاذْهَبْ فيها بالفَهْمِ وجى"
خلّ الدنيا وأغانيَهَا وارْض الأخرى ومعانيَهَا
يا مَنْ إذ ذاك تعانيَهَا "وتأمّلها ومعانيَهَا"
"تأتِ الفردَوْسَ وتَنْفَرِجْ"
قل فى أحيان مهجّرها واعْدل عن وعد مُحجّرها
وانزل بظلال مشجّرها "واشربْ تسنيم مُفَجّرها"
"لا مُمْتَزِجًا وبمُمْتَزِجْ"

دَعْ عنك الغىّ ترى الرشدَا ما الموت يبيد الخلق سُدَى ..
انظر فيما ينجيك غدًا "مُدِحَ العقل الآتيه هُدَى"
"وهَوَى متولٍّ عنه هُجِىَ"
يا مَن غرّته غضاضته وعتت فى اللّهو مخاضته
وإلى الشهوات إفاضته "وكتاب الله رياضته"
"لعقول الخلق بمُنْدرج"
....
..... "وخيار الخلق هُدَاتُهُمُ"
"وسِوَاهُمْ من هَمَجِ الَبهمَجِ"
....
..... "وإذا كنتَ المقدامَ فَلاَ"
"تجزع فى الحرب من الرَّهَجِ"
....
..... "وإذا أبصَرْتَ منار هُدَى"
"فاظهر فردًا فوق الثَّبجِ"
....
..... "وإذا اشْتاقت نفس وجدَتْ"
"ألماً بالشّوق المُسْتلِجِ"
للعين عيون فاتكةٌ ولستر العاشق هالكةٌ
ولكم نفس هى هالكةٌ "وثنايا الحَسْنا ضاحكةٌ"
"وتمامُ الضّحك على الفَلَجِ"

أذنٌ لحديثهمُ سمعتْ والعين لحسرتها دمعتْ
لبروقهم لمّا لمعتْ "وعيابُ الأسرار اجْتَمَعَتْ"
"بأمانتها تحت الشَّرَجِ"
يا مَنْ ولّى عن واجبه ومنبأ هداه لاحبه
ارفقْ فى عود مراغبه "والرفقُ يدوم لصاحبه"
«والخرقُ يصير إلى الهَرَجِ»
إن كنتَ آخىّ أخا وجدى وتدوم لوجودك ما يجدى
قل إذ تدعو تِلْوَ الحَمْدِ "صلوات الله على المَهْدِى"
"الهادى النَاسَ إلى النَهجِ"
وحبيب الله وخيرته ورجا العاصى وذخيرته
والمُسْتحذى بسرته "وأبى بكر فى سيرته"
"ولسان مقالته اللّهجِ"
وعزائمه وشجاعته ورحالته وإقامته
وتقدّمه بأمانته "وأبى حفص وكرامته"
"فى قصّة ساريةَ الخُلُجِ"
هو خير أخ فى الله وخِلٌ مافيه لأهل الملّة خِلّ
ولذى القربى بالبرّ يصل "وأبى عمرٍ وذى النورين"
"المُسْتحيى المُسْتحْيَا البَهِجِ"
مَوْلًى بِعُرَى التقوى أخَذَا وعلى خدر الشيخين حَذَا
وأنال يدًا وأزال أذًى "وأبى حسن فى العلم إذا"
"وافَى بسحائبه الخُلُجِ"

وعلى المبعوث لشرعهما وعلى المنسوب باسمهما
وكذاك الفرع وأصلهما "وعلى السبطين وأمهما"
"وجميع الآلِ بمُنْدَرِجِ"
....
..... "وصحابتهم وقرابتهم"
"وقُفَاة الإثر بلا عوج"
وعلى الحسنين وأمهما وكذا الصحبين وآلهما
والصحب جميعهم الأكرما "وعلى تبّاعهم العُلَمَا"
"بعوارف دينهم البهج"
ضو التمرين بنورهم وهنّى الفوز لأجْلِهِمِ
ولهم ذكر فى العلم سمى "يا ربّ بهم وبآلهمِ"
"عجّلْ بالنصر وبالفرج"
....
..... «وارحَمْ يا أكرم من رَحِمَا"
"عبدًا عن بابك لم يَعُجِ"
....
..... "واختِمْ عملى بخواتمها"
"لأكونَ غدًا فى الحَشْرِ نجى"
....
..... "لكنّى بجودك معترف"
"فاقبلْ بمعاذى والحجج"

....

..... "وإذا بك ضـــاق الأمـــر فَـــقُلْ"

"إشْـــتَـــدى أزمـــة تـــنـــفـــرجى"(١)

(١) وردت بعض أبيات القصيدة بيضاء، علَّها سقطت من نسخ النساخ.

(٤)

للشيخ عبد الله الصائغ[١]

اصبر فالصبر أخو الفرج وارقب نفحات الربّ تجى

واسمع قولاً فى ذاك شجى "إشتدّى أزمة تنفرجى"

"قد آذن ليلك بالبلج"

لا بأس لذاك فلا حرجٌ فلكلّ مضيق له فرجٌ

وسبيل الخير لها درجٌ "وظلام اللّيل له سُرُجٌ"

"حتّى يغشاه أبو السّرج"

فانظر فيها فلها عبرٌ تبدو ههنا فيها فكرٌ

فلربّتما يأتى ظفرٌ "وسحاب الخير لها مَطرٌ"

"فإذا جاء الإبّان تجى"

حسن للظن فلا وَجَلٌ تخشى إذ ذاك ولا خللٌ

فثواب الله لها نزلٌ "وفوائد مولانا جُمَلٌ"

"لسروح الأنفس والمُهج"

قد فاز بها عبدًا قصدَا وارتاح بها مَن قد سعدَا

وتنشقها مَن قد زَهَدَا "ولها أرجٌ مُحْيى أبَدَا"

"فاقْصِد مَحْيَا ذاك الأرج"

---

(١) هو الفقيه تقى الدين عبد الله بن محمد بن الصائغ الحنفى. ولد سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٤م، وأقام بدمشق، وتوفى سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م. من آثاره "شرح المعنى للخبازى" فى أصول الفقه. (بعض الأبيات فى القصيدة بها خلل عروضى).

أقصد يا صاح لها تحيا واسلك سبل المولى سعيا
يُعطيك الربّ بها هديا "فلربّتما فاض المَحْيَا"
"ببحور الموج من اللّجج"

قف يا صاح بمَوْرِدِهِ لا فوز بذلك فى غَدِهِ
والله مُنجز موعده "والخلق جميعًا فى يَدِهِ"
"فَذَوُو سَعَةٍ وذَوُو حَرَجِ"

فإلى الرحمن رجوعُهُمُ وبه فى البعث ضروعُهُم
وله يعنون جزوعُهُمُ "ونزولهم وطلوعُهُمُ"
"فإلى درك وعلى دَرَجِ"

فخيار الخلق مراقبُهُمُ وشرار الناس معاقبهم
ومسالمهم ومناقبهم "ومعايشهم وعواقبهم"
"ليست فى المَشْى على عِوَجِ"

فافْهم بِنَدًا فى العلم سمَتْ كسمّو البدر وما كتمت
أثمان الأنفس ما علمت "حِكَمٌ نُسِجَتْ بيدٍ حَكِمَتْ"
"ثم انْتُسِجَتْ بالمُنْتَسِجِ"

فإذا جعلت نفس سمجَتْ وإذا امتزجت بالعلم نَجَتْ
وإذا علمَتْ للخير نجَتْ "فإذا اقْتصدَتْ ثمّ انعرجَتْ"
"فبِمُقْتصد وبمُنْعَرِجِ"

فبحار العلم لها لججٌ ترتاح لموردها مهجٌ
ونزاع صولتيها لججٌ "شهِدَتْ بعجائبها حُجَجٌ"
"قامت بالأمر على الحِجَجِ"

فـــوّض لـــله تـــنل فَـــرَجَـــا كم من فـــرج قـــد جـــاء فـــجـــا
وســحــاب بلا بُــعــد انــفــرجــا "ورضــا بــقــضــاء الــله حــجَــى"
"فـــعـــلـــى مـــركُـــوزَتِه فَـــعُـــجِ"
الْـــزم بـــاب المـــولى أبَـــدًا فالعمر مضى فى اللّهو سُدَى
وادْع الـــرحـــمن تـــصبْ مَـــدَدًا "وإذا انـــفـــتـــحت أبـــوابُ هُـــدى"
"فـــاعْـــجل لخـــزائـــنـــهـــا ولِجْ"
واقْـصـد فى ذاك رعـايـتـهـا لـتـنـال بـذلك غـايـتـهـا
واجْـهـد فى حـلـمك رايـتـهـا "وإذا حـاولتَ نـهـايـتـهـا"
"فـــاحْـــذَرْ إذ ذاك من الـــمَـــعْـــرَجْ"
جـانب من هـان ومن نـبـذَا لـلـدين ومن عـلـكـا وهَـذَى
واجْـعل ذكـر الـرحـمن غَـذَا "لـتـكـون من الـسُّـبـاق إذا"
"مـــا جـــئْتَ إلى تـــلك الـــفُـــرَجْ"
فـالـذكـر تَـبـيـنْ مـحـجّـتُهُ لـــذوى الإخلاص وحـــجّـــته
فـإذا ظـهـرت لك نجـبـتُهُ "فـهـنـاك الـعـيش وبَـهْـجَـتُهُ"
"فـلِـمُـبْـتَـهِج ولِـمُـنْـتَـهِجْ"
بـشّـر نـفـسًـا راحت وغَـدَتْ ولـطـاعـة مـولاهـا عـمـدت
بـتـمـام الـوعـد كـمـا وعـدت "فـهِجِ الأعـمـال إذا ركـدت"
"فـــإذا مـــا هِـــجْـــتَ إذًا تَـــهِجْ"
بـطـلـول الأنـفس حـاجـتـهـا فـإذا ظـفـرت فـلـجـاجـتـهـا
تـبـدو جـمـلاً وعـجـاجـتـهـا "ومـعـاصى الـله سـمـاجَـتُـهـا"
"تَـــزْدَانُ لـــذى الخُـــلُقِ الـــمَـــمِجْ"

فظلام الكلم بساحتها فاحذر تغتر براحتها
وانهض جدًا لإراحتها "ولطاعتها وصباحتها"
"أنوارُ صباح مُنبلجِ"
فاسلك بالجدّ لمطلبها ودع النفس وكن نبهَا
وتغنّى بطيب مشربها "من يخطبْ حور الخُلْد بها"
"يظفرْ بالحُورِ وبالغنج"
من قام بها لله رقى أعلى الدرجات ومن فرقَا
من خوف الله لقد سبقَا "فكن المَرْضيَّ لها بتُقَى"
"تَرْضَاهُ غَدًا وتكون نجى"
واهْرب من كلّ شقى وبذى واصْحب مولاك بمنتبذى
أكرم تسلم وبه فعذى "واتْلُ القرآن بقلب ذى"
"حَزَنٍ وبصوت فيه شجى"
خالف للنفس غوايتها فى ظلمتها وسلامتها
آى القرآن تلاوتها "وصلاة اللّيل مسافتها"
"فاذْهَبْ فيها بالفَهْمِ وجى"
فإذا حققّت مثانيَهَا وإذا فككت مبانيَهَا
فانظر بالعين غوانيَهَا "وتأمّلها ومعانيَهَا"
"تأتِ الفردَوْسَ وتَنْفَرِجْ"
فجد الآيات وفسّرها وتولَّ صيانة جوهرها
وارْبح فى سوق متاجرها "واشربْ تسنيم مفجّرها"
"لا مُمْتَزِجًا وبمُمْتَزِجْ"

ازهدْ فيما يؤذيك غَدًا وانددْ عمرًا قد ضاع سُدَى
واجعل للعقل عليك يَدًا "مُدِحَ العقل الآتيه هُدَى"
"وهَوَى متولٍّ عنه هُجِى"
فخيار العقل عضاضته وأسنر الحلق فضاضته
وثبات العلم عواضته "وكتاب الله رياضته"
"لعقول الخلق بمُنْدرج"
فإذا اختلفت عداتُهُمُ رجعت فيهم ساداتُهُمُ
فصفت فى الحال آفاتهم "وخيار الخلق هُدَاتُهُمُ"
"وسِوَاهُمْ من هَمَجِ الهَمَجِ"
فافْهم حِكَمًا عزًا جملاً واقْبل نصحى فى ذاك ولاَ
تسمع غده ممن عذَ لاَ "وإذا كنتَ المِقْدامَ فَلاَ"
"تجزع فى الحرب من الرَّهَجِ"
وأطع ربًّا أحدًا صَمَدًا وأدم ذكراه تنل رشَدًا
وأعد لوارده عددًا "وإذا أبصرت مَنارَ هُدَى"
"فاظهر فردًا فوق الشَّبجِ"
طوبَى ولنفسٍ إذ جهدت ولخالقها طوعًا سَجَدَتْ
وطوال الدّهر له عبدت "وإذا اشتاقَتْ نفسٌ وجَدَتْ"
"ألَمَا بالشّوق المُعْتلِجِ"
بباكٍ ودام مسالمةٌ وعيون الفتنة نائمةٌ
وثغور الملة سالمةٌ "وثنايا الحُسْنا ضاحكةٌ"
"وتمامُ الضّحك على الفَلَجِ"

أستار العلم قد ارتفعَتْ وسحاب الجهل قد انقشعَتْ
عن نفس فتًى للحق سعَتْ "وعيابُ الأسرار اجتمعَتْ"
"بأمانتها تحت الشَّرَجِ"
فالعلم يدوم لصاحبِه بدوام العزّ لجانبه
والصبر مطيّة طالبه "والرفْق يدوم لصاحبه"
«والخرقُ يصير إلى الهَرَجِ»
بالحمد لما كنّا نبدى نعطى نعماه بلا عدٍّ
واذكر من حاز ذرى المجد "صلوات الله على المهدى"
"الهادى النَاسَ إلى النّهجِ"
وعلى مَن أمّ بحجرته وعلى مَن قام بنصرته
وعلى الأنساب وعشرته "وأبى بكر فى سيرته"
"ولسان مقالته اللّهجِ"
وعلى مَن قام بصارمته فدهَى الأعداء بصرامته
وأباد الشرك بلامته "وأبى حفص وكرامته"
"فى قصّة سارة الخُلُجِ"
ومن استعلى فى المجدينِ وسما فى العزّ بسامين
وحمى الإسلام من الحَيّن "وأبى عمرٍ وذى النورين"
"المُستحيى المُستحيَا البَهِجِ"
وعلى الحامى للدين كذا وقام به وبه أخذا
والسادة فرادى فبذَا "وأبى حسن فى العلم إذا"
"وافَى بسحائبه الخُلُجِ"

وعلى العليا وأخيه كما حاز الصفين كما علما
وعلى العمّين ونسلهما "وعلى السبطين وأمّهما"
"وجميع الآلِ بمُنْدَرِجِ"
وعلى مَن فاز بصحبتهم وأطاع الله بسنّتهم
وجَنَى لثمار محبّتهم "وصحابتهم وقرابتهم"
"وقُنَاة الإثر بلا عوج"
وعلى المشهور من العُظَمَا وعلى المذكور من القدما
وعلى الأنصار وجندهما "وعلى تبّاعهم العُلَمَا"
"بعوارف دينهم البهج"
فسألتُ الله بحالِهِمِ حفظًا لجميع مقالهِمِ
ويوفِقني لمقامهِمِ "يا ربّ بهم وبآلهم"
"عجّلْ بالنصر وبالفرج"
....
..... "وارْحم يا أكرم من رَحِمَا"
"عبدًا عن بابك لم يَعُجِ"
....
..... "واخْتم عَمَلِي بخواتمها"
"لأكونَ غدًا في الحَشْرِ نجي"
....
..... "لكنّي بجودك مُعْتَرِفٌ"
"فاقبلْ بمعاذي والحجج"

....

..... "وإذا بك ضـــاق الأمـــر فَـــقُلْ"

"إشْـــتَـــدى أزمـــة تـــنـــفـــرجى"(١)

(١) وردت بعض أبيات القصيدة بيضاء، علَّها سقطت من نسخ النسَّاخ.

(٥)

للشيخ أحمد العيدروس[١]

دِّرج أيـــامَك تـــنـــدرجِ وبـــبـــوق الـــهمّ فلا تـــلج
واصْـــبـــر لا بـــدَّ من الـــفـــرجِ "إشـــتـــدّى أزمـــة تـــنـــفـــرجى"
"قـــد آذن لـــيـــلكِ بـــالـــبـــلج"

كم لـــــطف آل به حـــــرجُ والـعُـســر بـيـســر ممـتـزجُ
لا يـــأس الـــكـــرب له فـــرجٌ "وظلام الـــلـــيل له ســـرجُ"
"حـــتّى يـــغـــشـــاه أبـــو الـــسّـــرج"

إنّ جَفَّ الـــلـــطف فلا ضـــررٌ وخـــفـــىّ الـــلـــطف له أثـــر
وزمـــان الـــشـــرّ به قـــصـــر "وسـحـاب الخـيـر لـهـا مـطـرٌ"
"فـــإذا جـــاء الإبَّـــان تجى"

فـــوِّض لـــلـــهِ فلا حـــيلٌ تـــمـــحى المـقـدور ولا عـملٌ
لـــكن فى الـــلـــه لـــنـــا أملٌ "وفـــوائـــد مـــولانـــا جـــملٌ"
"لـــســـروح الأنـــفس والمُـــهج"

نـــادِ يـــا ربّ ومـــدَّ يَـــدَا فـــله جـــود قـــد فـــاق نـــدَا
يـــولى مـــنـــنًـــا حـــلّت مـــدَدًا "ولـــهـــا أرجٌ مُـــحـــيى أبـــدَا"
"فـــاقْـــصِـــد مَـــحْـــيَـــا ذاك الأرج"

---

(١) هو الأديب الشاعر أحمد بن سليمان العيدروس، اليمنى الأصل، القاهرى الشافعى، ولد سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٨م. وتوفى سنة ٨٨٢هـ/ ١٤٦٧م. من مؤلفاته: "أرجوزة غنية الطالب فى العمل بالكواكب"، و"أرجوزة الذيل المترف من الأشرف إلى الأشرف" فى التاريخ، و"شرح حرز الأمانى ووجه التهانى" فى القراءات السبع.
(بعض أبيات القصيدة بها خلل عروضى. لذا لزم التنويه).

نِـعَمٌ عـمّت كلّ الأحْـيَـا وسَـمَتْ ونمَتْ فـيـهـا مـحـيًـا
فـالـغـيث به الـدنـيـا تحـيـا "فـلـربَّـتَـمَـا فـاض المَـحْـيَـا"

"بـبـحـور المـوج من الـلّـجج"

تـسـلـيم الـعـبـد لـسـيّـده خـيـرٌ يـقـضى لـتـعـبّـده
اسـلـمْ تـظـفـرْ بـتـودّده "والخـلق جـمـيـعًـا فى يَـده"

"فَـذَوُو سَـعَـةٍ وذَوُو حَـرَجٍ"

وأصـولـهـمُ وفـروعـهُمُ ضـرتْ بـنـداه ضـروعـهُمُ
وإلـيه الـكلّ رجـوعـهـمُ "ونـزولـهـمُ وطـلـوعـهـمُ"

"فـإلى درك وعـلى دَرَجٍ"

أهل الإشـراك تـعـاقـبـهمْ وأولـو الـتـوحـيـد تـراقـبـهمْ
طـلـعت بـالسّـعـد كـواكـبـهمْ "ومـعـايـشـهم وعـواقـبـهمْ"

"لـيـست فى المَـشْى عـلى عِـوَجٍ"

عـين فـهـمت حـكم فـهـمَتْ عـمـلت والـله بمـا حـلـمت
ولـهـا سـحبٌ لمـا سـلـمت "حـكَمٌ نسـجت بـيـدٍ حَـكَـمَتْ"

"ثم انّـتُـسِـجَتْ بـالمُـنْـتَـسِجِ"

لمـا لحـظت ورأى فـنـجَتْ بـرضـا الـرحـمن قـد ابـتـهـجَتْ
ومع الأخـيـار بـهـا انْـدَرجت "فـإذا اقـتـصـدت ثمّ انـعـرجَتْ"

"فـبِـمُـقْـتـصـد وبمُـنْـعَـرجِ"

أقـدار الـلـه لـهـا لججٌ وعـلـى الأقـدار مـضـت حـججٌ
ولـكم فـيـهـا غـرقـت مـهجٌ "شـهـدتْ بـعـجـائـبـهـا حُـجَجٌ"

"قـامت بـالأمـر عـلـى الحِـجَجِ"

ارض المقدور تنلْ فَرَجَا واصبِر فالصبر على درَجَا
فإذا ما خفتَ فَسَلْهُ رَجَا "ورضَا بقضاء الله حجَى"
"فعلى مركُوزَتِه فَعُجِ"

اقلعْ عن ذنبك مُجتهدًا واقتصدْ مشيك ربًّا عمَدًا
وابْسط بالفيض إليه يَدًا "وإذا انفتحت أبوابُ هُدَى"
"فاعْجل لخزائنها ولِج"

واحْفظ ما عشت بدايتها فبها قد قدرك غايتها
واكتمْ إنْ نلتَ عنايتها "وإذا حاولت نهايتها"
"فاحْذَرْ إذ ذاك من العَرَجِ"

وانشَقّ أنفاح عبير شَذا تلك النفحات كذا وكذا
وانْهض كالبرق ورُمْ نبذًا "لتكون من السُّبَّاق إذا"
"ما جئْتَ إلى تلك الفُرَجِ"

يا سعد له ومُهَجْتُهُ وذكر جلاله منجته
ونهج سبيله بهجته "فهناك العيش وبهجته"
"فلِمُبْتَهِج ولِمُنْتَهِجِ"

هُمُ الأحرار إذا قعدت قاموا لله فما شردتْ
نفس إلا لهُمُ اتَّأدَتْ "فهج الأعمال إذا ركدَتْ"
"فإذا ما هِجْتَ إذًا تَهِجِ"

نفس الأمّارة حاجتها فى بحار السّوء حاجتها
وعلى العصيان عجاجتها "ومعاصى الله سماجتها"
"تَزْدَانُ لذى الخُلُق السَّمِجِ"

فحذار حذار ساحتها كلّ الأحزان بباحتها
قبحت فاهْجُرْ لقباحتها "ولطاعته وصباحتها"
"أنوارُ صباح مُنْبلجِ"
بمشارقها ومغاربها أقمار هُدًى لكواكبها
نور كالشمس لطالبها "مَنْ يخطبْ حور الخُلْدِ بها"
"يظفرْ بالحُورِ وبالغنج"
حورٌ فى الخلد دوام لِقَا ونعيم طاب بغير شقا
ولقاء الحور رأس لقا "فكن المرضىّ لها بتُقَى"
"تَرْضَاهُ غَدًا وتكون نجى"
جِدّى يا نفس كذا وخذى عيشًا بالفوز خفى وعذى
ولوجه الله أقصد ولذى "واتْلُ القرآنَ بقلب وذى"
"حَزَنٍ وبصوت فيه شجى"
نفس الإنسان سعادتها تُرضى المولى ورياضتها
ففعال الخير علامتها "وصلاة اللّيل مسافتها"
"فاذْهَبْ فيها بالفَهْمِ وجى"
إنْ تبغى الخلد مبانِيَهَا ورك الحور معانِيَهَا
واتْلُ القرآن منانِيَهَا "وتأمّلها ومعانِيَهَا"
"تأتِ الفردَوْسَ وتَنْفرجِ"
وترى عيناك بمحضرها وكذا الولدان بمنظرها
فانْشقْ نفحات معطرها "واشربْ تسنيم مفجرّها"
"لا مُنْفتَزِجًا وبمُمْتَزِجِ"

نافس فُهَمَا لتفوز غَدَا ودع الأعداء يكفيك عَدَا
ما هذا الأمر يكون سُدَى "مُدِحَ العقل الآتيه هُدَى"
"وهَوَى مستولٍ عنه هُجِى"
إنّ القرآن هدايتُهُ حقًا والخير بدايته
وأجل العلم دراسته "وكتاب الله رياضته"
"لعقول الخلق بمُنْدرج"
وكرام الناس ثقاتهُمُ وطراز العلم رواتهمُ
وأجلّ القوم وراثُهمُ "وخيار الخلق هداتهُمُ"
"وسِوَاهُمْ من هَمَجِ الهَمَجِ"
قنى للعمل ففيه عُلاَ ولباس العلم أجلّ جلا
فاعْمل بالعلم وكن رجلا "وإذا كنتَ المِقْدامَ فَلاَ"
"تجزع فى الحرب من الرَّهَجِ"
أمددٌ ما عِشْتَ إليه يَدَا واسأل فلكَم أولى مَدَدَا
وعلى الأبواب فقف أبَدَا "وإذا أبصرت مَنَارَ هُدَى"
"فاظهر فردًا فوق السَّبجِ"
نفِّس عن نفسك إنْ جمدت فالنفس متى يَئِسَتْ قعدت
والنار إذا وقدت خمدت "وإذا اشْتَاقَتْ نفسٌ وجَدَتْ"
"ألمًا بالشّوق المُعْتلِجِ"
وعيون العين فواتكةٌ ولحتّ القلب معاركةٌ
سود للبيض مشاركةٌ "وثنايا الحَسْنا ضاحكةٌ"
"وتمامُ الضّحك على الفَلَجِ"

طـوبَى ولـنـفس إذ قـنـعتْ وعن الـفـحـشـاء إذا ارْتـدعت
بـكلام الـلـه قـد انْـتـصـعت "وعـيـابُ الأسـرار اجْـتـمـعت"
"بـأمـانـتـهـا تحت الـشَّـرَجِ"

أكـرِمْ بـالـعـلـم وكـاتـبه فـدوام الـعـلم لـطـالـبه
فـدع الإسـراف لجـانـبه "والـرِّفْق يـدوم لـصـاحـبه"
«والخـرقُ يـصـيـر إلى الـهَـرَجِ»

سـبـحـان الـلـه لـقـد أبـدى نـور لـلـخـلق به يـهـدى
فـلـكم أعـطى ولـكم أجـدى "صـلـوات الـلـه عـلى المـهـدى"
"الـهـادى الـنَّـاسَ إلى الـنَّـهـجِ"

وبـجـيـرته وبـخـيـرته وبـطـيـنـته وسـرِّيـرته
وقـبـيـلـته وعـشـيـرته "وأبى بـكـر فى سـيـرته"
"ولـسـان مـقـالـته الـلَّـهِجِ"

وقـرابـته وصـحـابـته ونـشـابـته ورعـايـته
وشـجـاعـته وبـصـارته "وأبى حـفـص وكـرامـتـه"
"فى قـصَّـة سـاريـة الخُـلُجِ"

وعـلى فـرسـان الـعـدل وحـينِ عـثـمـان المـفـرد حـامى الـدينِ
وشـهـيـد الـدار خـيـر الـدين "وأبى عـمـر وذى الـنـورين"
"المُسْتَحِى المُسْتَحْيَا البَهِجِ"

وعـلـى مَنْ كـان إذا حـبـذا أعـطى كـالـبـحـر وقـد أخـذا
صـاف صـاف ومـا فـيه فـذَا "وأبى حـسـن فى الـعـلـم إذا"
"وافَى بـسـحـائـبه الخُـلُجِ"

وعلى نجليه لقد كرما وبخالهما وبعمّهما
أكرم بهما وبأمّهما "وعلى السبطين وأمّهما"
"وجميع الآلِ بمُنْدَرجِ"
وعلى الأصهار ونسبتهم وعلى الأحفاد ونجبتهم
وعلى الأبناء وغرّتهم "وصحابتهم وقرابتهم"
"وقُفَاة الإثر بلا عوج"
وعلى المرضىّ بفعلهما وسموا فى الناس بفضلهما
وعلى من مات بحبّهما "وعلى تبّاعهم العُلَمَا"
"بعوارف دينهم البهج"
كملت تبدى لكمالهمِ أكرم بهمِ وبحالهمِ
وبما صبروا ومآلهمِ "يا ربّ بهم وبآلهمِ"
"عجّلْ بالنصر وبالفرج"
....
..... "وارحمْ يا أكرم من رَحِمَا"
"عبدًا عن بابك لم يَعُجِ"
....
..... "واختمْ عَمَلِى بخواتمها"
"لأكونَ غدًا فى الحَشْرِ نجى"
....
..... "لكنّى بجودك مُعْترفٌ"
"فاقبلْ بمعاذى والحجج"

يعطى كالبحر من غير ملل وبه علم جمّ وعمل
لله لقد أعطى وفعل "وإذا بك ضاق الأمر فقل"
"إشتدى أزمة تنفرجى"[١]

(١) الأسطر البيضاء بالقصيدة هكذا بالأصل، علّها سقطت من الرواة.

(٦)

للشيخ على المصرى[١]

حمداً لله مدى الحجج ... لنشروح الأنفس والمهج

ناديت بقلب مختلج ... "إشتدّى أزمة تنفرجى"

"قد آذن ليلك بالبلج"

فى وقت الضيق لها فرجٌ ... ولهيب الحصر له أرجٌ

ومعالى الفوز لها درج ... "وظلام اللّيل له سرجٌ"

"حتّى يغشاه أبو السّرج"

وفعال الخير لها أثرٌ ... ودموع العين لها عبرٌ

ودوام السّول له غير ... "وسحاب الخير لها مطرٌ"

"فإذا جاء الإبّان تجى"

وعُبيد الصّدق له عملٌ ... منه نرضى وله أملٌ

ممن يعطيه ولا مللٌ ... "وفوائد مولانا جملٌ"

"لسروح الأنفس والمُهج"

نسمات اللطف بهنّ بَدَا ... وأتاك الغيث حَيَا وندَا

ممن يدعى ويجيب فدا ... "ولها أرج محيى أبدَا"

"فاقْصِد مَحْيَا ذاك الأرج"

---

(١) هو الفقيه الواعظ الشيخ علاء الدين على بن محمد المصرى، ثم الدمشقى: توفى فى حدود سنة ١١٢٧هـ/ ١٧١٥م. من آثاره: "كشف القناع عن ألفاظ شبهة السماع"، و"الأجوبة الغالية عن المسائل الخافية"، و"مشكاة الأنوار فى لطف الأخبار"، و"مشارق الأنوار فى فضل الورع". (بعض أبيات القصيدة بها خلل عروضى. لذا لزم التنويه).

فاعْمل لله ولا تَعْيَا وأدم للعدل ودعْ بغيا
وأميت النفس لكى تحيا "فلربّتما فاض المحيا"
"ببحور الموج من اللّجج"

ومصير العبد لسيِّدِهِ ومقرّ به ومبّعدِهِ
ومبُيد الكون موّحده "والخلق جميعًا فى يَدِهِ"
"فَذَوُو سَعَةٍ وذَوُو حَرَجِ"

وأصولهُمُ وفروعهُمُ وسكونهمُ وشروعهمُ
وذهابهمُ ورجوعهمُ "ونزولهمُ وطلوعهمُ"
"فإلى درك وعلى دَرَجِ"

ومساعدهم ومقاربهم وملابسهم ومراكبهم
ومآكلهم ومشاربهم "ومعايشهم وعواقبهم"
"ليست فى المَشْى على عِوَجِ"

جملٌ رسمت فيما ارْتسمت وسمت بِسمًا أيضًا وسمَتْ
وهمت بالفيض وما همت "حكَمٌ نُسِجَتْ بيدٍ حَكَمَتْ"
"ثم انْتُسِجَتْ بالمُنْتَسِجِ"

فارْعَى النّعمًا إذا انْدرجتْ فى سلك الخير وما خرجت
واشكرْ مولاك إذا انفرجت "فإذا اقتصدتْ ثم انْعرجتْ"
"فبِمُقْتصد وبمُنْعَرِجِ"

أحكام الله لها فرجٌ وبحار الفيض لها لُججٌ
رغبت برغائبها مهج "شهدت بعجائبها حُجَجٌ"
"قامت بالأمر على الحِجَجِ"

مَن رام الصدق سَمَا ونَجَا وعلى الدرجات بها انْدرَجَا
فى زمرة من الله سَجَى "ورضَا بقضاء الله حَجَى"
"فعلى مركُوزَتِه فَعُجِ"

فاطْلب ما دُمْتَ به رشدَا واتْرك ما فيه ردًا وردَا
وتوق النفس إذن أبَدَا "وإذا انفتحت أبواب هُدَى"
"فاعْجل لخزائنها ولِجِ"

والْزم ما دمت رعايتها وأقم بالحقّ وقَايتها
واحْفظ بالسّتر بدايتها "وإذا حاوَلْتَ نهايتها"
"فاحْذَرْ إذ ذاك من الحَرَجِ"

فتوق الشرّ وكلّ أذَى وعدّو النفس إذا انتبذا
وضمير السوء وكلّ أذى "لتكون من السباق إذا"
"ما جئْتَ إلى تلك الفُرَجِ"

قد لاح الحقّ ونجدته وتعالى النصر وبهجته
وتجلّى الله وقدرته "فهناك العيش وبهجتُهُ"
"فلِمُبْتَهِجٍ ولِمُنْتَهِجِ"

فدع الزلاّت إذا بددَتْ وأميت النفس متى شردَتْ
واتل الآيات بما وردَتْ "فَهِجِ الأعمال إذا ركدَتْ"
"فإذا ما هِجْتَ إذًا تَهِجِ"

فبعون الله إقامتها وبعون الله عنايتها
وبلطف الله لطافتها "ومعاصى الله سماجتها"
"تَزْدَانُ لذى الخُلُقِ السَّمِجِ"

طـوبَى مَن حلّ بـسـاحـتـهـا فى روض الخـيـر بـراحـتـهـا
ولـطـافـتـهـا وملاحـتـهـا "ولـطـاعـتـه وصـبـاحـتـهـا"
"أنـوارُ صـبـاح مُـنْـبـلِجِ"
فـدع الـدنـيـا بمـآربـهـا مـا طـاب بـهـا وتـقـاربـهـا
واطـلـب أخـرى تـزداد بـهـا "مَنْ يـخـطبْ حُورَ الخُلْد بهـا"
"يـظـفـرْ بـالحُـورِ وبـالـغَـنَجِ"
مَن يـرجـو الـله بـهـا ولـقَـا وبه خـوف ممّـا سـبـقَـا
ويـريـد الـوصل بـدار بـقـا "فَـكُنِ المـرضىّ لـهـا بـتُـقَى"
"تَـرْضَـاهُ غَـدًا وتـكـون نجى"
واذْكـر مـولاك بمـلـتـذى نـفـسـى يـنـجـيك من المـؤذى
وادْفع لـلـشـرّ ومـنـه عـذى "واتْلُ الـقـرآنَ بـقـلبٍ وذى"
"حَـزَنٍ وبـصـوت فـيـه شـجـى"
غـيـلـة الـنـفس وشـقـاوتـهـا وكلام الـصّـدق إقـامـتـهـا
ومـحلّ الخـيـر وقـايـتـهـا "وصلاة الـلّـيل مـسـافـتـهـا"
"فـاذْهَبْ فـيـهـا بـالـفَـهْمِ وجى"
وارْغب فـيـهـا لأمـانِـيَـهَـا بـشـروط مـنك تـدانِـيَـهَـا
فـعـسى تحـظى بـأهـانِـيَـهَـا "وتـأمّـلـهـا ومـعـانِـيَـهـا"
"تـأتِ الـفـردَوْسَ وتَـنْـفَـرِجِ"
واطْـلب تـوفـيق مـيـسّـرهـا ومـدبّـرهـا ومـقـدّرهـا
والْـزم بـنـشـائق عـنـبـرهـا "واشْـرب تـسـنـيم مـفـجّـرهـا"
"لا مُـمْـتَـزِجًـا وبمُـمْـتَـزِجِ"

ربحَتْ نفس طابت أبدًا وهَنَا العيش بها رغدًا
وصفَى القلب هناك بَدَا "مُدِحَ العقل الآتيه هُدَى"
"وهَوَى متولٌ عنه هُجِى"
روح الإنسان هدايته وكمال العقل نهايته
ودوام الصمت سلامته "وكتاب الله رياضته"
"لعقول الخلق بمُنْدرج"
سادات الناس نجاتهُمُ وهُمُو لاشكّ حماتهمُ
ورجال الحقّ وُلاَتُهُمُ "وخيار الخلق هُداتُهُمُ"
"وسِوَاهُمْ من هَمَجِ الهَمَجِ"
فى برّ الخير اعمل عَمَلاَ واترك ما ساق إليك بلاَ
واحمدْ فى الله وكن بطلا "وإذا كنتَ المقدام فلاَ"
"تجزع فى الحرب من الرَّهَجِ"
فخذ المعقول من السُّعَدَا لتنال الفوز مع الرُّشَدَا
لطريقهمُ الزم أبَدَا "وإذا أبصرت منار هُدَى"
"فاظهر فردًا فوق الثَّبجِ"
ودواع الشّوق إذا وردَتْ بثت كالنار إذا وقدَتْ
واشتدّ الأمر بمن قصدَتْ "وإذا اشْتاقت نفس وجدَتْ"
"ألَما بالشّوق المُعْتلِجِ"
بعراوى الوثقى ماسكةٌ رحمًا للناس ناسكةٌ
وعيون الأعين باكيةٌ "وثنايا الحَسْنَا ضاحكةٌ"
"وتمامُ الضِّحك على الفَلَجِ"

وبـــروق الحىّ إذا لمـــعتْ بـذوات الـكـون ومـا وسـعتْ
كـتم المـكـنـون بمـا سـطـعتْ "وعـيـاب الأسـرار اجْـتـمـعتْ"
"بـأمـانـتـهـا تحت الـشَّـرَجِ"
زاد الـتـقـنـوى مَنْ جـاء به نـال الـفـردوس بـصـاحـبه
فـالـلـطف يـكـون لـطـالـبه "والـرِّفق يـدوم لـصـاحـبه"
«والخـرقُ يـصـيـر إلى الـهَـرَجِ»
بـالحـمـد لمـولانـا تـبـدى ومـزيـد الـشكـر لـهـا تـهـدى
قـد قـلت بـقـلب مـحـتـدى "صـلـوات الـلـه عـلى المـهـدى"
"الـهـادى الـنَّـاسَ إلى الـنَّـهـجِ"
قـسـمًـا بـالـلـه وعـزّته وبـصـدق الـقـول وخـيـرته
وحـبـيـب الـلـه وجـيـرته "وأبى بـكـر فى سـيـرته"
"ولـسـان مـقـالـته الـلَّـهـجِ"
طه المخـتـار ورامـتـه عـّمت فى الـكـون رسـالـته
وكـذا الـصـديق خلافـتـه "وأبى حـفـص وكـرامـتـه"
"فى قـصّـة سـاريـة الخُـلُجِ"
واحْـذر قـدمًـا فى الـنـاس نـزلْ وإلى الـصّـديق الـقـادر دَلْ
لأبى حـفـص نـادى يـا خِلْ "وأبى عـمـر وذى الـنُّـورين"
"المُسْتحِى المُسْتحْيَا البَهِجِ"
لأبى بـكـر فـضل نـبـذَا وأبى حـفـص بـالـعـدل كـذَا
وأبى عـمـرو لـلـعـهـد شـذَا "وأبى حـسـن فى الـعـلـم إذا"
"وافَى بـسـحـائـبه الخُـلُجِ"

وعلى المُحبّين والهمما صلاة الله تعمّهما
وكذا القمرين تام هُمَا "على السبطين وأمّهما"
"وجميع الآلِ بمُنْدَرجِ"
وعلى الخلفاء وعشرتهم وجميع الآل بزمرتهم
وعلى مَنْ فاز بملّتهم "وصحابتهم وقرابتهم"
"وقُفَاة الإثر بلا عوج"
كذاك الصدق على الرُّحَمَا فتعم الآل مع الخدما
وعلى الأصحاب من الندما "وعلى تبّاعهمُ العُلَمَا"
"بعوارف دينهم البهج"
بذلوا الأرواح بمالهمِ وحموا البَيْدَا برجالهمِ
ورموا الأعداء بنصالهم "يا ربّ بهم وبآلهمِ"
"عجّلْ بالنصر وبالفرج"
....
..... "وارحمْ يا أكرم من رَحِمَا"
"عبدًا عن بابك لم يَعُجِ"
....
..... "واختم عملى بخواتمها"
"لأكونَ غدًا فى الحَشْرِ نجى"
....
..... "لكنّى بجودك معترفٌ"
"فاقبلْ بمعاذى والحجج"

واحـذَرْ قـدمـا فى الـنـاس عـملْ كَمْ مـحـتـرمًـا بـالـذنب غَـفَلْ
وأطع وأنب يـكـفـيـك خَـجَلْ "وإذا بك ضـاق الأمـر فَـقُلْ"
"إشْـتَـدى أزمـة تـنـفـرجى"(١)

(١) وردت بعض أبيات القصيدة بيضاء، علَّها سقطت من نسخ النسَّاخ، ولا يخفى على القارئ الخلل العروضى ببعض أبياتها.

(٧)

للشيخ سلام بركات القادرى[١]

الـكـرب يـزول مع الحـرج والـنـعُـسْـر يُـسْـرٌ مـنـدرج
والـلّـطف من الـرحـمن يـجى "إشـتـدى أزمـة تـنـفـرجى"
"قـد آذن لـيـلك بـالـبـلج"

اصـبـرْ تـرقى أعـلى درج والـصـبـر تـنـال به فـرج
فـلـكم ذابت فـيه مـهج "وظلام الـلّـيل له سـرجٌ"
"حـتّى يـغـشـاه أبـو الـسّـرج"

ودع الـتـدبـيـر بلا فـكـر واركعْ واسـجـدْ واجـرى عـبـر
واجـهـدْ فى الـلّـيل وقم ستـر "وسـحـاب الخـيـر لـهـا مـطـرٌ"
"فـإذا جـاء الإبَّـان تجى"

إنّ ضـاق الـذرع فلا حِـيَلٌ نـحـتـال ولـيس لـنـا عـملٌ
وبـحـبّ الـلـه لـنـا أملٌ "وفـوائـد مـولانـا جـملٌ"
"لـلـسـروح الأنـفـس والمُـهـج"

ادْعُ وابْـسـط لـلـه يَـدَا لـتـنـال الـسّـعـد مع الـسُّـعَـدَا
مـا خـاب رَجَـا مَن له قَـصَـدَا "ولـهـا أرج مـحـيى أبَـدَا"
"فـاقْـصِـد مَـحْـيَـا ذاك الأرج"

---

(١) هو الفقيه الأديب الشيخ سلام بن عمر بن بركات بن جلال المزاحى القادرى الجندى، مؤلف كتاب "اللآلى المبهرجة فى تخميس المنفرجة" ضمّنها تخميسات لعدد من شعراء اليمن ومصر وغيرهم (مخطوطة مكتبة الدولة ببرلين رقم ٩٣/ ١٦٢).
(لا يخفى على القارىء بعض الخلل العروضى فى القصيدة).

إنّ أنت تموت به تحيا وبه ترقى رتب عُلَيَا
من جدّ فقد ترك الأشيا "فلربّتما فاض المَحْيَا"
"ببحور الموج من اللّجج"

قم ثق بالله ومو عده وصل الأوقات بمسجده
سعدت قوم بتهجّده "والخلق جميعًا فى يده"
"فَذَوُو سَعَةٍ وذَوُو حَرَجٍ"

بظلام الليل خشوعُهُمُ وسجودهمُ وركوعُهُمُ
وصلاتهُم وخضوعُهُمُ "ونزولهُمُ وطلوعُهُمُ"
"فإلى درك وعلى دَرَجٍ"

بتمام العزّ هدايتُهُمُ وقوام الحشر وصاحبهُمُ
ومشايعهم ومقارعهُمُ "ومعايشهم وعواقبهم"
"ليست فى المَشْى على عِوَجٍ"

أركان الشّرك لقد هدمت واشتّد الكرب بها وَعَمَتْ
ثم انتحبت لمّا انهزمت "حكمٌ نسجت بيدٍ حَكَمَتْ"
"ثم انْتُسِجَتْ بالمُنْتَسِجِ"

أنصار الله وقد نجمَتْ نصروا الإسلام وقد نتجَتْ
وبذاك النصر قد ابتهجت "فإذا اقتصَدَتْ ثم انْعرجَتْ"
"فبِمُقْتصد وبمُنْعَرِجِ"

فى الحرب ترى لهُمُ حججٌ كالنار يهبّ لها وهجٌ
بسيوفهم قطعوا همج "شهدت بعجائبها حجج"
"قامت بالأمر على الحِجَجِ"

مـاخـاب فـتى بـالحق لَـجَـا وعـلى الأقـدار صـبـر فَـنَـجـا
وخـضـع وخـشـع ودعـا ورجـا "ورضَـا بـقـضـاء الـلـه حـجَـى"
"فـعـلـى مـركُـوزَتِه فَـعُـجِ"
وصـفـا الأوراد لَمَنْ وردا فـلَـكَمْ كـشـفت غـمًـا وصَـدا
وبـهـا الـطـلاب تـفـوز غـدًا "وإذا انْـفـتـحت أبـواب هُـدَى"
"فـاعْـجل لخـزائـنـهـا ولِج"
فـسل الأقـدار هـدايـتـهـا إن شـئت تـفـز بـعـنـايـتـهـا
فـفـعـال الخـيـر بـدايـتـهـا "وإذا حـاولت نـهـايـتـهـا"
"فـاحْـذَرْ إذ ذاك من الـعَـرَجِ"
أسـلم تـكـفى ظـلـمًـا وأذى واحـذر تـغـتـاب كـذا وكـذا
واحْـكم بـالحق لـذا ولـذا "لـتـكـونَ من الـسُّـبَّـاق إذا"
"مـا جـئْتَ إلى تـلك الـفُـرَجِ"
مَنْ قـال الحقّ ولـهـجـتـه ثـبـت الإيمـان ومـهـجـتـه
ومـتى مـا فـاز وحـجّـتـه "فـهـنـاك الـعـيش وبـهـجـتـه"
"فـلِـمُـبْـتَـهِج ولِـمُـنْـتَـهِجِ"
وحـيـاة الـنـفس إذا جـهـدت وبـطـاعـتـه حـقًـا سـعـدَتْ
وبه بـلـغَت مـهـمـا قـصـدت "فـهـج الأعـمـال إذا ركَـدَتْ"
"فـإذا مـا هِـجْتَ إذًا تَـهِجِ"
تـأخـيـر الـنـفس لحـاجـتـهـا وطـريق الحقّ نـتـاجـتـهـا
وبـنـور الـكـون لـهـاجـتـهـا "ومـعـاصى الـلـه سـمـاجـتـهـا"
"تَـزْدَانُ لـذى الخُـلُقِ الـسَّـمِجِ"

وصلاح الـرُّوح سـمـاحـتـهـا وفـسـاد الـقـلـب قـبـاحـتـهـا
وبـذكـر الـلـه إزاحـتـهـا "ولـطـاعـتـه وصـبـاحـتـهـا"
"أنـوارُ صـبـاح مُـنْـبـلِجِ"

الـدهـر يـدوْر فـكـن نـبـهًـا لجـنـاب الـلـه ومـنـتـبـهًـا
ودع الأمـلاك ومـطـلـبـهـا "من يـخـطـبْ حـور الخُـلْـد بـهـا"
"يـظـفـرْ بـالحُـورِ وبـالـغَـنَجِ"

أركـان الـديـن لـهـا طـرقـا بـصـلاة الخـمـس عـلـى أرقـا
وهـدى حقّ من غـيـر شـقـا "فـكُنِ المـرضـيّ لـهـا بـتُـقَـى"
"تَـرْضَـاهُ غَـدًا وتـكـون نجـى"

قـد هبّ نـسـيم الـوصـل شـذى نـشـر عـطـرًا لـلـمـنـجـبـذى
فـانـشـقْ عـرفًـا يـا مُـنْـتـبـذى "واتْـلُ الـقـرآن بـقـلـب وذى"
"حَـزَنٍ وبـصـوت فـيـه شـجـى"

وأمـان الـنـفـس مـخـافـتـهـا وقـنـاعـتـهـا وكـفـافـتـهـا
وكـرامـتـهـا لـضـيـافـتـهـا "وصـلاة الـلّـيـل مـسـافـتـهـا"
"فـاذْهَبْ فـيـهـا بـالـفَـهْـمِ وجِـى"

خـالـف نـفـسـك تـوانـيـهَـا واحْـذَرْ تجـنـح لـتـمـانـيَـهَـا
وبـوجـه الـقـلـب فـعـانـيَـهَـا "وتـأمـلـهـا ومـعـانـيَـهَـا"
"تـأتِ الـفـردَوْسَ وتَـنْـفَـرِجِ"

ارْضَ واصْـبـر لـمـقـدّرهـا واسـأل وادع وتـنـظّـرهـا
وابْـشـر تحـظـى بـتـيـسّـرهـا "واشْـربْ تـسـنـيـم مـفـجّـرهـا»
"لا مُـمْـتَـزِجًـا وبمُـمْـتَـزِجِ"

اذكر ربّا فردًا صمَدَا واحمدْ واشكرْ دائم أبدًا
واحْذر تكسل فتمت كَمَدَا "مُدِحَ العقل الآتية هُدَى"
"وهَوَى متولٍّ عنه هُجِي"

الشيب بَدَا وبياضته والعمر مضى بخواضته
والقلب قسى بعراضته "وكتاب الله رياضته"
"لمعقول الخلق بمُنْدرج"

سادات القوم ثقاتهُمُ وبتقوى الله ثقاتهُمُ
وبدين الحقّ ثباتهُمُ "وخيار الخلق هداتُهُمُ"
"وسِوَاهُمْ من هَمَجِ الهَمَجِ"

قلبك أضحى قلقًا وجلاَ فاصْبر وارْض واصلحْ عَمَلاَ
واحسنْ ظنّك تبلغ أملا "وإذا كنت المقدام فلا"
"تجزع فى الحرب من الرَّهَجِ"

فوّض أمرك تُعْطَى مددًا واحفظْ دينك تلقى سندًا
واسمعْ وأطعْ وابغى رشدًا "وإذا أبصرتَ منار هُدَى"
"فاظهر فردًا فوق الثّبجِ"

سعدتْ قوم لمّا وردَتْ بصفا ووَفَا فيما عمدَتْ
وبجد الجهد فكم جهدت "وإذا اشْتاقَتْ نفس وجَدَتْ"
"ألمّا بالشّوق المُعْتلجِ"

أيّام شبابك هالكةٌ وغدت أيامك حالكةٌ
تبكى بدمًا متهالكة "وثنايا الحَسْنَا ضاحكةٌ"
"وتمامُ الضّحك على الفَلَجِ"

أنوار البدر كنار سطعتْ وجلتْ بصرًا لمّا لمعتْ
وملوك الكون لها خضعت "وعياب الأسرار اجّتمعتْ"
"بأمانتها تحت الشَّرَجِ"
العلم يزيد لطالبه والجهل يؤخر جاذبه
والحظ يقرّب صاحبه "والرِّفق يدوم لصاحبه"
«والخرقُ يصير إلى الهَرَجِ»
عدد الأيام إذا تعدى وجميع الخلق بلا حدِّ
وكذا الأمطار مع الرعد "صلوات الله على المهدى"
"الهادى النَّاسَ إلى النَّهجِ"
وعلى الآباء وجيرته وعلى الإخوان وعشيرته
وعلى الأزواج وخيرته "وأبى بكر فى سيرته"
"ولسان مقالته اللَّهجِ"
وعلى مَنْ رام مرامته وسعَى ومَشَى لغرامته
وأقام إذاً بإقامته "وأبى حفص وكرامته"
"فى قصّة ساريةِ الخُلُجِ"
وعلى مَنْ زال به الشينِ ورَمَى الأعداء بسهمينِ
وصل الأوصاب مع الدينِ "وأبى عمر وذى النورين"
"المُستحيى المُستحْيَا البَهِجِ"
وعلى مَنْ حربته جَبَذَا ولطعن الحرب قد انتقذا
ومحا ظلمًا حتّى نفذا "وأبى حسن فى العلم إذا"
"وافَى بسحائبه الخُلُجِ"

صلوات الله نعظّمها وسلام الله يعمّمها
وكذا الأنسال يسلّمها "وعلى السبطين وأمّهما"
"وجميع الآلِ بمُنْدَرِجِ"
وعلى التَبْليغِ لسنّتهم وعلى من وافق عشرتهم
وعلى من شاهد رتبتهم "وصحابتهم وقرابتهم"
"وقُفَاة الإثر بلا عوج"
وعلى من عزَّ بهم وسَمَا وغدًا يتبع لهما قدمَا
وكذاك الآل ونجلهما "وعلى تبّاعهم والعُلَمَا"
"بعوارف دينهم البهج"
وبجمعهم وكمالهِم وبحقّهم وخصالهِم
ويمينهم وشِمالهِم "يارب بهم وبآلهِم"
"عجّلْ بالنصر وبالفرج"
....
..... "وارحمْ يا أكرم من رَحِمَا"
"عبدًا عن بابك لم يَعُجِ"
....
..... "واختمْ عملى بخواتهما"
"لأكونَ غدًا فى الحَشْرِ نجى"
....
..... "لِكنّى بجودك معترف"
"فاقبلْ بمعاذى والحجج"

....

..... "وإذا بك ضـــاق الأمـــر فـــقلْ"

"إشْـــتَـــدى أزمـــة تـــنـــفـــرجى"[١]

(١) وردت بعض أبيات القصيدة بيضاء، علَّها سقطت من أيدى النسَّاخ، ولا يخفى على القارئ الخلل العروضى ببعض أبياتها.

(٨)

للشيخ سلام بركات القادرى أيضاً[١]

يـا نـفسُ كـفِّى لا تـنـزعج الـصـبـرُ لكِ بـاب الـفـرجِ
فَـقُـلِى لـنـاكِ تَـبْـتَـهِجِ "إشـتـدّى أزمـة تـنـفـرجى"
"قـد آذن لـيـلكِ بـالـبـلجِ"
فـلـكم لـلـخـلق يـجى حـرجٌ ولـكم لـلـضّـيق بـذَا لججٌ
وبـنـيل الـصـبـر أتى فـرج "وظلام الـلّـيل له سُـرُجٌ"
"حـتّى يـغـشـاه أبـو الـسّـرج"
طـلب الـدنـيـا فـيه ضـررٌ وبـزيـنـتـهـا أبـدت غـررٌ
مـا قـضى مـنـهـا أحـد وطـر "وسـحـاب الخـيـر لـهـا مـطـرٌ"
"فـإذا جـاء الإبَّـان تجى"
فـلـكم أسـرت فـيـهـا رحلٌ وقـضى أجل مـا شـفى غـللٌ
مـا عـمـل عـمـل يمـحى زللٌ "وفـوائـد مـولانـا جـملٌ"
"لـلـسـروح الأنـفـس والمُـهج"
أتـركْ دنـيـا أبـدَتْ نَـكَـدَا وارْحَمْ تـرحم والـفـوز غـدَا
إنَّ الأخـرى قـصـد الـسُّـعَـدَا "ولـهـا أرج مـحـيى أبَـدَا"
"فـاقْـصِـد مَـحْـيَـا ذاك الأرج"
وعـلـى طه نـزل الـوَحْـيَـا رحم المـوتى وهَـدَى الأحْـيَـا
اعـملْ خـيـرًا قـلبك يـحـيـا "فـلـربّـمـا فـاض المحـيـا"
"بـبـحـور المـوج من الـلّـجج"

(١) لا يخفى على القارىء بعض الخلل العروضى فى القصيدة.

قد فاز العبد بسيده وكفى بالله تسيّده
وتقبّله وتعمّده "والخلق جميعا فى يده"
"فَذَوُو سَعَةٍ وذَوُو حَرَجٍ"

ومصير الخلق رجوعهمُ للربِّ هناك جموعهمُ
وخضوعهمُ ورفوعهمُ "ونزولهمُ وطلوعهمُ"
"فإلى درك وعلى دَرَجٍ"

ورجال الدين مناقبهم يهدوا للحق مراقبهم
أمنوا فى الحشر تعاقبهم "ومعايشهم وعواقبهم"
"ليست فى المَشْى على عِوَجٍ"

كلمات الله قد احتكمت ولها حفظت أمم كرمت
لما نيلت وبها أقسمت "حِكَمٌ نُسِجَتْ بيدٍ حكمت"
"ثم انْتُسِجَتْ بالمُنْتَسِجِ"

سعدت قوم لله رجت صبروا صبرا حتى اندرجت
وعن الدنيا زهدا خرجت "فإذا اقتصدت ثم انعرجت"
"فبِمُقْتَصِد وبمُنْعَرِجِ"

خصبت تُرُبٌ ملح أجج جاها مطر عادت لجج
نبتت زرع خُضُر بهج "شهدت بعجائبها حجج"
"قامت بالأمر على الحِجَجِ"

الصبر على البلوات نَجَا برضَا ووَفَا ودعى وَرَجَا
عبد مولاه بجنح دُجَى "ورضا بقضاء الله حجى"
"فعلى مركُوزَتِه فَعُجِ"

النور لنا فى الكون بدا والحق به للخلق هدا
وجلا ظلما عنا وصدى "وإذا انفتحت أبواب هدى"
"فاعجل لخزائنها ولج"

وبلاء النفس جنايتها فاحذر تغوى لغوايتها
تسلم منها ورمايتها "وإذا حاولت نهايتها"
"فاحذر إذ ذاك من العرج"

اترك طمعا من ذاك وذا واذكر ربك تنجو وكذا
يحيا قلبك ويعيش بذا "لتكونن من السُّبَّاق إذا"
"ما جئتَ إلى تلك الفُرَجِ"

يا مشتغلا ومولجّته عمّا لك لجّك ولُجّته
اخلص تخلص ولجّته "فهناك العيش وبهجته"
"فلِمُبْتَهِجٍ ولِمُنْتَهِجِ"

النفس إذا بالخير بدت بلغت أربا فيما قصدت
لله رجت طوعا وهدت "فهج الأعمال إذا ركدت"
"فإذا ما هِجْتَ إذًا تَهِجِ"

وكؤوس النوم زجاجتها بخمور الذكر مزاجتها
وبجنح الليل مناجتها "ومعاصى الله سماجتها"
"تَزْدَانُ لذى الخُلُقِ السَّمِجِ"

أكنف ذاك ومراحتها تمشى مرحا بسواحتها
فسدت قلبا بمباحتها "ولطاعتها وصباحتها"
"آنوارُ صباح مُنْبَلِجِ"

طـلـب الأخـرى وتـقـرّبـهـا تـدع الـدنـيـا وتجـنّـبـهـا
نَـهَـرَتْ ورمت من مـجـرّبـهـا "من يـخـطـب حـور الـعـين بـهـا"
"يـظـفـرْ بـالحُـورِ وبـالـغـنـج"

عـمّـر قـلـبك واحـيـا فى نَـقَـا فـبـذا تـبـقى فى دار بـقـا
تـنـال هـنـاك بـطـيب لِـقَـا "فـكن المـرضى لـهـا بـتُـقى"
"تَـرْضَـاهُ غَـدًا وتـكـون نجى"

اشـكـر مـولاك بـذى وبـذى وإذا أولاك بـه فـلـذى
وبـحـسـن الـظـن فـتق وخـذى "واتْلُ الـقـرآن بـقـلـب ذى"
"حَـزَنٍ وبـصـوت فـيـه شـجى"

تـفـوز بـهـا ولـطـافـتـهـا ومـحـاسـنـهـا وظـرافـتـهـا
ومـراقـبـهـا وتحـافـتـهـا "وصلاة الـلّـيل مـسـافـتـهـا"
"فـاذْهَبْ فـيـهـا بـالـفَـهْمِ وجى"

فـاز الـعـلـمـا ومـدانـيـهـا تـكـفى نَـهَـمًـا لـتـعـانِـيَـهَـا
شـر الـظـلـمـا وعـوانـيـهـا "وتـأمّـلـهـا ومـعـانِـيَـهَـا"
"تـأتِ الـفـردَوْسَ وتَـنْـفَـرِجْ"

دارِ الأخـرى فـتـفـكـرّهـا بـفـنـا الـدنّـيـا وتـذكّـرهـا
اخـرج عـنـهـا وتـكـدّرهـا «واشـربْ تـسـنيم مـفـجّـرهـا"
"لا مُـمْـتَـزِجًـا وبمُـمْـتَـزِجِ"

قم لـيـلك يـا من قـد رقـدا وعـلـى قـدم الـلّـيل هَـدَا
واطـلـب واسـأل بـدُعَـا وندا "مُـدِحَ الـعـقل الآتـيه هُـدَى"
"وهَـوَى مـتـولٍّ عـنـه هُـجِى"

ذنبك أسرك ومراضته ولقد لجّك ومخاضته
حتى ركضك وركاضته "وكتاب الله رياضته"
"لعقول الخلق بمُنْدرج"

القوم جلوا أمراتهمُ وصفت لهم أوقاتهمُ
بظلام الليل صلاتهمُ "وخيار الخلق هداتهمُ"
"وسِواهُمْ من هَمَجِ الهَمَجِ"

اسمع وأطلع يكفيكَ بَلاَ كم عبد إليه قد اتَّصَلاَ
ولحضرته حقا وصلا "وإذا كنت المقدام فَلاَ"
"تجزع فى الحرب من الرَّهَجِ"

اذكر ربك حقًّا عُبِدَا الله كفى وبه اعتمدا
فخذل وشقى من له جَحَدَا "وإذا أبصرت منار هدى"
"فاظهر فردًا فوق الثَّبجِ"

قومٌ وردتْ لمّا وفدتْ وروت ظمأ منها وغدتْ
نحو المولى وله عبدتْ "وإذا اشتاقت نفس وجدت"
"ألمّا بالشّوق المُعْتلِجِ"

أيام حياتك ضاحكة وبغفلتها لك شائكة
ولياليالى السعد مباركة "وثنايا الحَسَنا ضاحكة"
"وتمامُ الضِّحك على الفَلَجِ"

أذنك تركت ما قد سمعت للقوم إذا للخير دعت
وعصتك النفس ولا رجعت "وعياب الأسرار اجتمعت"
"بأمانتها تحت الشَّرَجِ"

العمر يفرط غاليه والشر يدّمر جاليه
والخير يتم لراغبه "والرِّفق يدوم لصاحبه"
«والخرقُ يصير إلى الهَرَجِ»

عدد الأقطار كما تبدى وطيور الكون وماتشدى
وكذا الركبان مع الوفد "صلوات الله على المهدى"
"الهادى النَاسَ إلى النَّهجِ"

وعلى من قرَّ بصيرته ورأى المختار وجيرته
وعلى من عاد لخيرته "وأبى بكر فى سيرته"
"ولسان مقالته اللّهجِ"

وعلى مَنْ لمَّ برامته واتبع ورضى بإمامته
وسعد وحظى بعلامته "وأبى حفص وكرامته"
"فى قصّة ساريةَ الخُلُجِ"

وعلى من عزَّ بغرمين وقطع فى الحرب بنجدين
وسمى فى المجد بإسمين "وأبى عمر وذى النورين"
"المُستحيى المُستحيَا البَهِجِ"

وعلى من خلَّى الأعدا جذَذَا ولكم بطل منهم أخذا
ورمى سهما حددا فلذا "وأبى حسن فى العلم إذا"
"وافَى بسحائبه الخُلُجِ"

وعلى الجدين وفرعهما وعلى الأسلاف وجدّهما
وعلى الخلفاء وصحبهما "وعلى السبطين وأمهما"
"وجميع الآلِ بمُنْدَرِجِ"

وعلى الفرسان ورفقتهم نشروا الأعلام وركبتهم
وغزوا الكفار وجملتهم "وصحابتهم وقرابتهم"
"وقُفَاة الإثر بلا عوج"
وعلى من زال لمن ظَلَمَا وَنَبصَفْ بالحق لمن ظُلِمَا
وجرى الأحكام بما عَلَمَا "وعلى تُبَّاعهم العُلما"
"بعوارف دينهمُ البَهج"
وكذا الإخوان بحالهمِ وبسرِّهم وجلالهمِ
وبعزِّهم وجمالهمِ "يارب بهم وبآلهمِ"
"عجّلْ بالنصر وبالفرجِ"
....
..... "وارحم يا أكرم من رحما"
"عبدًا عن بابك لم يَعُجِ"
....
..... "واختم عملى بخواتهما"
"لأكونَ غدًا فى المحشرِ نجى"
....
..... "لكنى بجودك معترفٌ"
"فاقبلْ بمعاذى والحُجَجِ"
....
..... "وإذا بك ضاق الأمرُ فَقُل"
"إشتَدى أزمةُ تنفرجى"(١)

(١) الأبيات البيضاء هكذا وردت بالأصل، ربما سقطت من النسّاخ أو الرواة.